دور التعليم فى فلسفة التربية الخلقية عند مفكرى الإسلام فى القرن الرابع الهجرى.

إعداد

محمد ربيع حافظ عبد الحميد

المُعيد بقسم الفلسفة - كلية الآداب- جامعة بنى سويف

تحت إشراف

أ.د صفية العدوى أستاذ الفلسفة الإسلامية كلية الآداب جامعة بني سويف

أ.د سهام يس أستاذ أصول التربية كلية التربية جامعة بني سويف

المستخلص

يتناول هذا البحث التعليم كوسيلة من وسائل التربية الخلقية عند مفكرى الإسلام فى القرن الرابع الهجرى، فقد إتخذت جميع الاتجاهات الفكرية فى هذا العصر التعليم الوسيله الأولى والرئيسه للتربية للخلقية، سواء كان هذا التعليم تعليم علوم دينية كالقرآن والسنه، أو تعليم علوم نظرية كالتاريخ والفلسفة والشعر، أو تعليم علوم عملية كالمنطق والهندسة والموسيقى، وقد استخدموا تلك العلوم فى تربية الإنسان تربية خلقية تحثه على التحلى بالأخلاق الحميدة والفضائل الحسنه، والتخلى عن الأخلاق السيئه والرزائل السيئة، فيجعله يستطيع أن يفرق بين الخير والشر، وبين الصواب والخطأ، وبين الحق والباطل، وجعله إنساناً صالحاً لنفسه ولمجتمعه، ولوطنه.

الكلمات المفتاحية

العلم Education، التربية Pedagogy ، الأخلاق Ethics،

الفلسفة philosophy.

Abstract

This research addresses pedagogy as a means of moral education for Islamic thinkers in the fourth century A.H. All intellectual trends in this era have considered pedagogy as the first and main instrument of moral education, whether this education is teaching religious sciences such as the Qur'an and the Sunnah, or teaching theoretical sciences (humanities) such as history, philosophy and poetry, or even teaching practical sciences such as logic, engineering and music, as they used these sciences in upbringing a person morally, urging one to have good morals and ethical virtues, and to abandon bad morals and ugly sins, so that s/he can differentiate between good and evil, right and wrong, and make an individual a good, upright citizen for one's sake, and for the sake of their community, and their countrs.

تعريفات البحث

١ –العلم

فى اللغة :

كلمة "علم" قال عنها ابن دريد في جمهرته: "سمى العلْمُ علمًا من العلامة، وهى الدلالة والإشارة، ومنه مَعَالم الأرض والثوب والمَعلَمُ: الأثر يستدل به على الطريق، والعلم من المصادر التى تجمع"[١]

فى الاصطلاح:

قال الراغب الأصفهانى فى تعريف العلم:" إدراك الشئ بحقيقيته، وذلك ضربان أحدهما : إدراك ذات الشئ، والثانى الحكم على الشئ بوجود شئ هو موجود له، أو نفى شئ هو منفى عنه"[٢].

وقال ابن عبد البر:" إن العلم هو ما استيقنته وتبينته، وكل من استيقن شيئاً وتبينه فقد علم"[٣].

وقال الجرجانى:" العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء هو حصول صورة الشئ فى العقل"[٤].

[١] – ابن دريد: جمهرة اللغة، ج٣، مكتبة المثني بغداد،ط١ (ب ت) ص ١٦.

[٢] – الاصفهانى: المفردت فى قريب القرآن، دار المعرفة بيروت (ب ت)، ص ٣٤٣

[٣] – ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج٢، دار الفكر،بيروت (ب ت) ، ص٤٥

[٤] – الجرجانى: التعريفات، تحقيق عبد الرحمن عميره، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٣٤٣

٢ – التربية

فى اللغة :

- التربية جاءت بمعنى: (الزيادة والنشأة والتغذية والرعاية والمحافظة) وهى من ربا الشئ ربوا ورباء أى زاد ونما[١].
- وجاءت ايضاً اشتقاق هذة الكلمة من كلمة رب وليست من ربا، فيقال:" رب ولده الصبى يربه أى أحسن القيام عليه، ووليه حتى أدرك، أى فارق الطفولة، ورباه تربية على تحويل التضعيف، ورب القوم أى ساسهم"[٢].
- وجاءت فى معجم اخر كلمة التربية بمعنى التغذية وعلو الشأن والارتفاع[٣].

فى الاصطلاح :

- هى تنمية الجوانب المختلفة لشخصية الإنسان، عن طريق التعليم والتدريب والتثقيف والتهذيب والممارسة لغرض إعداد الإنسان الصالح لعمارة الأرض وتحقيق معنى الاستخلاف فيها.
- قال البيضاوي:" الرب فى الاصل بمعنى التربية، وهى تبليغ الشئ إلى كماله شيئا فشيئاً"
- قال الراغب الاصفهانى:" الرب فى الاصل التربية ، وهو إنشاء الشئ حالاً فحالاً إلى حد التمام"[٤].

[١]- محمد مرتضي الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد الاول، الطبعة الاولي، المطبعة الخيرية ١٨٨٥، ص٦٨

[٢]– ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث، دار المعارف بمصر، ص١٥٤٧

[٣]– الفيروز ابادي : القاموس المحيط ج١، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧، ص ١٥

[٤]– خالد بن حامد الحازمي: اصول التربية الاسلامية، دار عالم الكتب، ٢٠٠٠، ص ١٩

٣- الأخلاق

فى اللغة :

- الخلق لغة : معناة : العادة والطبع والسجية، والمروءة والدين[١].
- وفى القاموس المحيط الخلق بالضم، وبضمتين :" السجية والطبع والمروءة والدين"[٢].
- وجاء فى لسان العرب:" الخلق بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنه، وهى نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة، وأواصافها، ومعانيها، ولهما أوصاف حسنه وقبيحة[٣].

فى الاصطلاح :

- عرفة بعض العلماء بأنه (علم الارادة) ومعنى هذا أن الخلق عبارة عن الميل الراسخ الذى تكتسبة الإرادة نتيجة لممارسة فعل معين، وتكرراره مرات كافية، بحيث يصدر مثل هذا العمل عن الميل المذكور بسهولة ويسر كلما وجد داعية، كمن تأصلت فى إرادته عادة الكرم والميل إليه فإنه يبذل كلما وجدت الظروف الداعية للبذل، وهكذا فهذة العادة والميل الراسخ تسمى خلقاً[٤].
- هو صفة مستقرة فى النفس فطرية او مكتسبة، ذات أثار فى السلوك محمودة أو مذمومة[٥].

---

[١]- جميل صليبا: المعجم الفلسفى ج١، دار الكتاب العالمى، بيروت ١٩٩٤، ص٤٩

[٢]- الفيروز ابادي: القاموس المحيط: نفس المصدر ج٣، ص ٢٣٦ .

[٣]- ابن منظور لسان العرب ج١، دار لسان العرب، بيروت ١٩٥٥، ص٨٨٩.

[٤]- خليفة حسين العسال : التربية الخلقية في القران الكريم ١٩٩٢، ص ٦، ومحمود حمدي زقزوق : مقدمة في علم الاخلاق، دار القلم الكويت، ص٣١.

[٥]- محمد نايل العزام : التربية الاخلاقية عند الامام الغزالي وعلاقتها بالتصوف، مجلة المنارة مجلد ٢٠، العدد١/ب ٢٠١٤،.

- علم الخير والشر والحسن والقبيح، وله قواعدة التى يحددها لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيرة على نحو يحقق الغاية من وجودة فى هذا العالم علي أكمل وجه[١].
- مجموعة من السلوكيات التى يظهرها الفرد فى تعامله مع الأحداث التى تواجهه أو الأفراد الذين يتعامل معهم فى الحياة، ويكتسب معظمها من خلال التربية والبيئة التى عاش فيها الفرد خلال مراحل عمرة المختلفة.[٢]
- المثل والقيم المنظمة للسلوك الإنسانى التى يحددها الدين على نحو يسمو بالإنسان ويحقق غايته فى الحياة وسعادته، وهى بهذا لا تشمل إلا ما هو حسن وجميل ومحمود عند الله تعالى وعند الناس[٣].

مقدمة

لقد كان التعليم من أهم وسائل التربية الخلقية لدى مفكرى القرن الرابع الهجرى، لما للتعليم من أثر قوى فى نفس الإنسان، مما يساعده على تربية نفسه وتهذيب روحه، وإنارة عقله، فيجعله يستطيع أن يفرق بين الخير والشر، وبين الصواب والخطأ، وبين الحق والباطل، والتعليم هو الأداة الفاعلة فى تربية وإعداد النشء تربية أخلاقية سليمة، وقد ربط الإسلام بين الدين والتعليم، فالتعليم أحد وظائف الانبياء والرسل قال تعالى:" كما ارسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون"[٤]، ومن هنا كان التعليم أساس قامت عليه حضارة الإسلام، وكان أحد الوسائل الرئيسة فى التربية والأخلاق فى الفكر الإسلامى منذ نشأته، حيث يحمل بين طياته كل ما فيه صلاح البشر جميعاً،

[١]– مقداد يالجن : التربية الاخلاقية الاسلامية، دار عالم الكتب، الرياض ط ٣، ص٨٠.

[٢]- صالح بن ابراهيم الصنيع : دراسات في علم النفس من منظور إسلامي ، الرياض دار عالم الكتب ص ١٤٢

[٣]– عبد المقصود عبد الغني خيشة ، تهذيب الاخلاق في الاسلام ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ١٩٩١ ص ١٨

[٤] – سورة البقرة الاية ١٥١

وسنحاول أن نكشف فى هذا البحث عن موقف مفكرى القرن الرابع الهجرى من التعليم كأحد وسائل التربية.

الاتجاه الفقهى

يعد التعليم هو الوسيلة الأولى لدى الفقهاء فى التربية الخلقية، وخاصة تعليم القرآن والسنة باعتبارهما المصدر الأساسى للأخلاق والقيم والسلوك والآداب، يقول تعالى "الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فيه هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"[١]، ومن أهم ما يحث ويوجه إليه القرآن العلم والتعليم، يقول تعالى:" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير"[٢]، وكذلك كانت السنه تحث على التعليم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:" خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[٣].

فنجد الإمام الآجرى والامام القابسى يعتبران التعليم أحد الوسائل الأساسية لتربية الأخلاق وتهذيب النفوس، وخاصة تعليم القرآن الكريم والسنه النبوية، فهما دستور المسلمين، ومرجعهم فى العبادات والمعاملات، وهما الهادى إلى تحقيق السعادة الدنيوية والاخروية، ويريا أن التعليم يساعد فى تربية نشء جديد يهتدى بتعاليم القرآن وسنه نبيه، ويذكران قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من يرد الله به خيراً فقهة فى الدين"[٤].

يقول الآجرى فى فضل طلب العلم:" روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، لأنه معالم الحلال والحرام، والأنيس فى الوحشة، والصاحب فى الخلوة، والدليل على السراء والضراء، يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم فى الخلق قادة يقتدى بهم،

[١] – سورة البقرة الاية ١–٢

[٢] – سورة المجادلة الاية ١١

[٣] – القابسى: الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق احد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط١٩٨٦،١، ص٧٦

[٤] – الآجرى: أخلاق العلماء، تحقيق امينة عمر الخراط، دار القلم دمشق،ط١، ٢٠٠١، ص٢٨

وإئمة فى الخلق تقتضى أثارهم، وينتهى إلى رأيهم".[١] ويستشهد بقول النبى صلى الله عليه وسلم :" طلب العلم فريضه علي كل مسلم"[٢]. ويدعوا إلى تعلم القرآن يقول:" إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبة الله ما أستطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله، هو النور المبين، والشفاء النافع، ونجاة من تبعه، وعصمة من تمسك به، لايعوج فيقوم، ولاتنقضى عجائبه، ولايخلق عن كثرة الرد"[٣].

ونجد الإمام القابسى يؤكد على فضل العلم والتعليم، وخاصة تعليم القرآن الكريم، الذى يساعد على فهم الدين، وتثبيت الإيمان فى النفوس، وكسب الفضائل والأخلاق الكريمة، ويحث القابسى الناس على إرسال ابنائهم إلى المعلمين فى الكتاتيب لكى يعلموهم القرآن، ويحملوا عنهم تأديبهم، وإصلاح أحوالهم، وينموا الخير فى أفهامهم، ويبعد عنهم الشر[٤]، ويستشهد بالعديد من الأيات القرآنية كقوله تعالى:" وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[٥]. ويقول:" لولا المعلمون أى شيء كنا نكون نحن؟ فعن مالك ما ذكره ابن سحنون قال:حدثونا عن سفيان الثورى عن العلاء ابن السائب قال: قال بن مسعود: ثلاث لابد للناس منهم، من أمير يحكم بينهم، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً، ولابد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لبطل كتاب الله، ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذعلى ذلك أجراً ولولا ذلك كان الناس أميين"[٦].

---

[١] – الآجرى: أخلاق العلماء،تحقيق امينه عمرالخراط،دار القلم ،دمشق ،٢٠٠١ ص٣٧

[٢] – الآجرى: فرض طلب العلم، تحقيق ابي الحسن علي بن احمد، مكتبة المعارف ،جده، ط١ ٢٠١٠، ص٧٦

[٣] – الآجرى: أخلاق حملة القرآن، تحقيق غانم قدوري، دار عمار،الاردن،ط١،٢٠٠٨، ص٤٧.

[٤] – القابسى: الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق احمد خالد،الشركة التونسية للتوزيع،ط، ١٩٨٦ ص٩٨.

[٥] – سورة الانعام الاية ١٥٥.

[٦] – القابسى: الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق احمد خالد،الشركة التونسية للتوزيع،ط، ١٩٨٦ ص١٠٠.

فالقرآن الكريم والسنة الشريفة لدى أصحاب الاتجاه الفقهى هما المصدر الأساسى للتربية الخلقية، وهما مصدر القيم والأخلاق ويأتى التعليم كأحد الوسائل الرئيسة لتحويل هذة القيم والأخلاق إلى برامج عمل و ممارسة فى الحياة الاجتماعية من خلال عملية التربية.

الاتجاه الفلسفى

يعتمد ابن مسكوية التعليم كأحد الوسائل الأساسية لتهذيب الأخلاق، حيث يرى أن التعليم واجب ضرورى لتقويم أخلاق النشء وتهذيب نفوسهم، وبما أن الإنسان يسعى إلى سد احتياجات جسدة من مأكل ومشرب وملبس للحفاظ علي صحته، والحفاظ على حياته، فيجب عليه أيضا أن يسعى إلى سد احتياجات نفسه، من خلال العلم والزيادة فى المعقولات، والتعود والتدريب على الصدق فى الاراء وقبول الحق، والبعد عن الكذب والباطل، ويكون ذلك من خلال التربية من الصبا على أدب الشريعة والاخذ بشرائطها ووظائفها، ثم النظر فى علم الأخلاق حتى تتأكد من تلك الآداب والمحاسن بالبراهين، ثم النظر فى علم الهندسة والحساب حتى تتعود على الصدق فى القول وصحة البرهان[١].

وبما أن الفلسفة الخلقية هى علم عملى عند الفلاسفة المسلمين فإن المعايير والمبادئ الخلقية لديهم لا تكتمل الا من خلال التعليم والتربية لتحقيقها وتحويلها إلى سلوك عملى فى الواقع المعيش ولذلك نجد ابن مسكوية يربط بين العلم والعمل فى تحقيق الكمال الأخلاقى للإنسان يقول:" الكمال الإنسانى يعتمد علي قوتين فى نفسه، قوة عالمة تدفع الإنسان إلى الاشتياق إلى تحصيل المعارف والعلوم، وقوة عالمة يحتاج إليها الإنسان فى تنظيم أموره وتسييرها. وهذة القوة هى التى تتعلق بالكمال الأخلاقى، واذا كانت القوة العالمة تتعلق بالنظر والفكر والعقل وتحصيل المعارف، فإن القوة الثانية تتعلق بإسلوب عمل الإنسان وسلوكه، ولا يتم الكمال الإنساني إلا

[١] – ابن مسكوية: تهذيب الأخلاق فى الأخلاق، دار الكتب العلمية،بيروت، ط١ ،١٩٨٥، ص ٤٢

بتمامهما معا، لأن العلم مبدأ، والعمل أو السلوك تمام له، والمبدأ بلا تمام يكون ضائعا، والتمام بدون مبدأ مستحيلا"[١].

ونجد ابن سينا يؤكد على أهمية التعليم فى تثبيت الأخلاق والفضائل المحموده فى نفوس الصبية والأحداث، فوضع فى نظامه التعليمى للصبى أن يتعلم القرآن، حيث فيه من السلوك والعادات ما يكفل للأنسان تربيه خلقية كاملة، إلى جانب تعليمه الهندسة والموسيقي والشعر[٢].

ويتفق إخوان الصفا مع ابن مسكويه وابن سينا فى أن التعليم وسيله هامه لإصلاح النفوس وتهذيب أخلاقها، واكتسابها للأخلاق الحميدة، والبعد عن الأخلاق الخبيثة، والتقرب إلى الله، وبلوغ الإنسان السعادة القصوى فى الحياة الدنيا والآخرة، يقولون:" العلم حياة القلب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، وقوة الابدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الاحرار ومجالس الملوك، والدراجات العلى فى الدنيا والاخرة، والفكر فيه يعدل الصيام، ودارسته بالقيام به يطاع الله، وبه يعبد، وبه يعلم الخير، وبه يتورع، وبه يؤجر، وبه توصل الارحام، وبه يعرف الحلال والحرام، واعلم إن العلم إمام العمل والعمل تابعه، ويلهمه الله السعداء ويحرمه الاشقياء"[٣]، ويقولون:" غاية التعليم هو إصلاح جواهر النفوس، وتهذيب أخلاقها وتتميمها، وتكميلها للبقاء فى دار الآخرة"[٤]، ويقولون:" واعلم يأخى، بأن غرض الفلاسفة الحكماء من النظر فى العلوم الرياضية وتخريج تلامذتهم بها إنما هو السلوك"[٥].

وهنا نرى الاتجاه الفلسفى قد أكد على تعليم الدين، كأحد المصادر الرئيسية للتربية الخلقية، إلى أنه اضاف ايضاً مصادر أخرى يمكن بثها فى النشء، من خلال

[١] – ابن مسكوية: تهذيب الأخلاق فى الأخلاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ،١٩٨٥ص ٣٦

[٢] – ابن سينا: السياسة ، تقديم وتحقيق محمد علي أسبر، مكتبة بدايات ،سورياط٢٠٠٧،١، ص٨٤

[٣] – إخوان الصفا، مراجعة خير الدين الزركلي، الجزء الاول الرسالة التاسعه، مكتبة هنداوي،٢٠١٧ ص٢٨١

[٤] – إخوان الصفا، مراجعة خير الدين الزركلي، الجزء الاول الرسالة السابعة، مكتبة هنداوي،٢٠١٧ ص٢١٧

[٥] – إخوان الصفا، مراجعة خير الدين الزركلي، الجزء الاول الرسالة الاولى ، مكتبة هنداوي،٢٠١٧ ص ٨٤

التعليم مثل فلسفة الأخلاق، والهندسة والحساب والشعر، لتأكيده على دور العقل فى عملية التربية الخلقية، الأمر الذى يؤكد ما طرحناه سابقا، أن عملية التوفيق بين النقل والعقل، والدين والفلسفة، بمفهومها الواسع أنئذاك لم تكن تقتصر على القضايا الميتافزيقيا فقط، ولكنها أيضا كانت تشمل ايضاً قضايا أخرى منها القضايا الخلقية، وحرى بى أن اوضح أنهم فى تأكيدهم على تعليم الشعر، ودوره فى التربية الخلقية، فأنهم لم يقصدوا مطلق أغراض الشعر وإنما قصدوا إلى الشعر الأخلاقى الذى يحث على الفضائل والآداب الحميدة، يقول ابن سينا ايضاً أن دراسة الرجز والشعر ضرورة تربوية أخلاقية، حيث يدعو إلى الاستقامة والآداب والفضائل الحميدة ومكارم الأخلاق، التى يجب أن يتحلى بها النشء، يقول: "يبدأ من الشعر بما قيل فى فضل الآدب ومدح العلم وذم الجهل وعيب السخف، وما حث فيه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف، وغير ذلك من مكارم الأخلاق"[١].

اعتمادهم على الشعر والحساب والهندسة، كأحد المصادر للتربية الأخلاقية وإنها ايضا من مجمل خصائصهم تعددهم لمصادر الأخلاق .. وفيما يخص الشعر فقد جعل فلاسفة الإسلام الشعر أحد مصادر التربية الخلقية، وقد خالفوا بذلك أفلاطون الذى طرد الشعراء من مدينته الفاضلة، ربما يرجع ذلك إلى طبيعة الثقافة العربية الإسلامية التى قدرت الشعر واعتبرته وقد قدر الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر وكذلك الصحابة الكرام، فقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحفظ جيد الشعر وراقه، مثل شعر النابغة الذبياني،[٢]

الاتجاه الصوفى

يعد التعليم أحد الوسائل الاصيلة للتربية الخلقية عند صوفية القرن الرابع الهجرى، خاصة أنه فى هذا القرن لم يعد التصوف مجرد نزاعات فردية، وإنما أصبح

[١] – ابن سينا: كتاب السياسة، تقديم وتعليق علي محمد أسبر، بدايات للطباعة والنشر ،سوريا،ط١ ٢٠٠٧ ص ٨٤.

[٢] – محمد بن الخطاب القرشي: جمهرة اشعار العرب، تحقيق على محمد البجادى، مكتبة نهضة مصر، ١٣٠٨هـ، ص٧١.

حركة إجتماعية ومدارس تربوية لتعليم وتأكيد والتحقق بالفضائل الخلقية، وتربية السلوك الأخلاقى من خلال السير فى الطريق الصوفى، عبر المقامات والاحوال التى رتبوها ودونها فى كتبهم، مثل كتاب (قوت القلوب) لابوطالب المكي، وكتاب (اللمع) لابو نصر الطوسى، وقد أكد الصوفية أن السير فى الطريق الصوفى والتحقق بكريم الأخلاق لابد فيه للمريد من شيخ معلم، وإمام متحقق، بل أكدوا أنه من الصعب سلوك الطريق بلا معلم فمن ليس له شيخ فأمامه الشيطان، تاكيداً على أهمية التعليم على يد مربٍ كوسيلة أساسية للتربية والترقى الأخلاقى.

دعا الاتجاه الصوفى إلى العلم والتعلم، وخاصة حفظ كتاب الله وتدبر آياته ومعانيه، وما يحتويه من الآداب والأخلاق والفضائل التربويه الحميدة، و أدرك أن الإسلام فى جوهرة أخلاق بين العبد وربه، وبين العبد ونفسه، ومجتمعه، لأن الإيمان بالله لا يلتقى مع أخلاق الكذب والرياء، وعبادة المال والانسياق وراء الشهوات، فكان لابد للعبد أن يطهر قلبه من هذة الأخلاق المذمومة ليكون إيمانه صحيحاً، ولذلك جعلوا من الأخلاق أساساً للتصوف، مادام الدين فى جوهره الأخلاق، فوجهوا إهتمامهم إلى الأخلاق، وذهبوا إلى أن أى علم لا يقترن بخشية الله لا جدوى منه فكانت الأخلاق أهم ثمار التصوف، وبالنظر إلى مقامات الصوفية نجدها مرآه تعكس فلسفتهم الأخلاقية، فالصبر والذكر والتوكل والشكر وغيرها فى جوهرها قيم أخلاقية، يجاهد الصوفى نفسه للتحقق بها بمجاهداته ورياضته الروحية فتتجلي فى سلوكه[١].

يقول الشيخ ابو نصر الطوسى رحمه الله:" وللصوفية ايضا تخصيص من طبقات أهل العلم باستعمال آيات من كتاب الله تعالى متلوه، وأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مروية، ما نسختها ايه، وما رفع حكمها خبر ولا آثر، يدعو ذلك إلى مكارم الأخلاق، ويبحث عن معالى الاحوال وفضائل الأعمال، وينبئ عن

[١] – امال محمد عامر: البعد الأخلاقى وفلسفة المجاهدة الصوفية، مجلة الجامعة ،مجلد٣ ، ع ١٦،٢٠١٤ ص٩٢

مقامات عالية فى الدين، ومنازل رفيعة خص بذلك طائفة من المؤمنين، وتعلق بذلك جماعة من الصحابة والتابعين"[١].

ونجد السلمى كذلك يحث على التعليم لما يكسبه للإنسان من فضائل وأخلاق حميدة، وأن العلم يزيد من خشية الله، وأن ملازمة العلم تساعد الإنسان فى معرفة الله حق معرفته، والإيمان به عن حق، يقول السلمى: حكى عن الجنيد إنه أوصى أصحابة فقال يابنى الزم العلم ولو ورد عليك من الاحوال ماورد لا يكون مصحوبك الإ العلم[٢]، لأن الله تعالى يقول: "وَالرَّاسِخُونَ فى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا "[٣]، وقوله تعالى: "فَإِن تَنَازَعْتُمْ فى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ"[٤]، وقال النبي " اطلبوا العلم ولو فى الصين"[٥].

وترى الصوفية أن العلم والعمل توأمان لا ينفكان عن بعضهما، ومن يريد أن يسلك فى طريق الإيمان ويريد التعرف على الله والوصول إلى رضاه لا يستغنى عن العلم فى أية مرحلة من مراحل سلوكه، ففى ابتداء سيره لا بد له من علم العقائد وتصحيح العبادات واستقامة المعاملات، وفى أثناء سلوكه لا يستغنى عن علم أحوال القلب وحسن الأخلاق وتزكية النفس. ولهذا اعتُبِرَ اكتساب العلم الضرورى ومن أهم النقاط الأساسية فى المنهج العملى للتصوف، إذ يرى الصوفية أن التصوف ليس إلا التطبيق العملى للإسلام كاملاً غير منقوص فى جميع جوانبه الظاهرة والباطنة.

الاتجاه العلمى

اهتم الاتجاه العلمى كذلك بالتعليم، ودوره فى التربية الخلقية لما له من أثر فى التمرين والتدريب علي ممارسة الفضائل الخلقية وقد تعرضوا وناقشوا مسائل عديدة

---

[١] – ابو نصر الطوسى: اللمع، حققه عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة القاهرة١٩٦٠ ص٣١

[٢] – عبد الرحمن السلمى: عيوب النفس ومدواتها، تحقيق محمدعبد المنعم،عبد العزيزشرف دار الشروق١٩٨١، ص٤٩

[٣] – سورة ال عمران الاية ٧

[٤] – سورة النساء: الاية ٥٩

[٥] – عبد الرحمن السلمى: عيوب النفس ومدواتها، تحقيق محمدعبد المنعم،عبد العزيزشرف دار الشروق ١٩٨١،ص٤٩

مثل من يقوم بالتعليم؟ وماهي الخصائص التى يجب توافرها فى المربى؟ وهل هى تقتصر على الخصائص الخلقية فقط ام نجمع بين الخلقية والجسدية؟ وما هى العلوم التى يساعد تعليمها فى التربية الخلقية؟

ادرك الاتجاه العلمى أهمية تعليم العلوم ومناهجها وأساليبها فى تأثيرها على تربية الإنسان، وتهذيب نفسه، وتقويم خلقة من خلال تعلم هذة العلوم كالطب، فالتربية الصحية لها تأثير كبير فى تربية وتهذيب أخلاق الإنسان، فنجد الطبيب ابن الجزار يهتم بالتربية الصحية للطفل منذ ولادته، لكى ينشأ نشئة صحية سليمة، مما يساعدة على تعليم واكتساب العادات والمبادئ الحميدة، ويهتم بصحة الام للطفل لما له أثر فى صحة الطفل وأخلاقه، يقول:" إن الذى يحتاج من المرأه عند طلب الولد هما أمران: أحدهما من البدن والآخر من النفس، وذلك أول صلاح الولد والأساس الذى يبنى عليه تأديبه وتقريبه"[١]. فعند ابن الجزار كلما كان الإنسان سليم جسدياً وعقلياً ونفسياً كلما كان الإنسان علي درجة عالية من الناحية الأخلاقية والروحيه، وكان قابلاً للتعليم والتعلم.

ومن الأمور التى تساعد على تحسين عملية التعليم تحصيل علوم الهندسه والمنطق حيث يتركان أثراً كبيراً فى نفس المتعلم وتقويم أخلاقه، لأن الهندسة والمنطق يعتمدان على البرهان، مما يجعل المتعلم يبحث ويتحقق، ويستخدم عقله وذكاؤه، ويتعلم التفرقه بين الصدق والكذب، والحق والباطل، فنجد ابن الهيثم ينصح المبتدئين فى تعليم الحكمة أن يبدوا بالرياضيات والهندسة اولاً، ثم المنطق ثانياً، لأن الهندسة تجعله لا يقبل من البراهين إلا الصحيح، والمنطق يجعله يميز بين الصدق والكذب فى الاقاويل، ويميز بين الخير والشر فى الافعال[٢].

وقد بين ابن الهيثم أثر تعليم الرياضيات فى صفاء الذهن وجودته، بل فى تهذيب الأخلاق ايضاً، وربط بين التفكير الرياضى والأخلاق، فالرياضيات تعلم الصدق

[١] – ابن الجزار : سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيت الحكمة ، تونس ،٢٠٠٩،ص ٥٩

[٢] – ابن الهيثم :ثمرة الحكمة، تحقيق عمار الطالبى، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق المجلد ٧٣ الجزء ٢ ص٢٩١

والدقة، وتطرد الخرافات وتنفيها، يقول:" ولا يشكن أحد فى فضيلة هذا العلم، وعظيم فوائده، ومنافعه، فإنه علم به يلطف تصور الإنسان، ويجيد فهمه، ويصفو ذهنه، ويمضى ذكاؤه، وتتهذب أخلاقه، بنفى الاشياء التى لاحقائق لها، واثبات الاشياء الحقيقية"[١].

ومن ضمن الأمور التى راء اصحاب الاتجاه العلمى إنها تساهم فى تحسين وسيلة التعليم علم الموسيقي لما للموسيقي من دور هام فى تهذيب النفس، وسكون الطبائع، فنجد ابن الجزار يعتمد علي تعليم الموسيقي فى تهذيب طبائع نفس الطفل، يقول:" فيجب الرفق بالطفل حتى يحول بينه وبين البكاء، وذلك بواسطة الاصوات اللذيذة وحسن النغم، لان ذلك يلحق النفس الالتذاذ فتسكن طبائعة وتهدأ، ويقرب إلى الصبى من الاشياء إلى تطربه وتفرحه، ويجمع بينه وبين من نشا معه من الصبيان، ويحذر من سماع الاصوات البشعة والمناظر القبيحة التى تفزعهم"[٢].

ويؤكد ابن الهيثم على أهمية الموسيقى فى تحسين عملية التعليم وتأثيره على التربيه الخلقية، اذ يعتبر الموسيقى علم شريف، تساهم أقسامه الثلاثة وهى الناظم والملين والمقوى فى تقويه فضائل النفس وتهذيبها، يقول:" علم تاليف الالحان وهو علم شريف، ينقسم ثلاثة أقسام، فقسم يسمى الناظم، وهو يشاكل الفضائل النظرية فى سكون النفس به، وقسم يسمى الملين وهو يشاكل الفضائل الخلقية، ويلطف أخلاق النفس به، وقسم يسمى المقوى، وهو يشاكل الفضائل السياسية فى تقوية النفس"[٣].

ومن خلال ما سبق فقد أكد مفكرى القرن الرابع الهجرى على أهمية التعليم كوسيلة للتربية الخلقية، وتأثيرها العملى فى التحقق بالقيم والفضائل الخلقية.

[١] – ابن الهيثم: ثمرة الحكمة، تحقيق عمار الطالبى، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق المجلد ٧٣ الجزء ٢ ص٢٦٧

[٢] – ابن الجزار : سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ص ٦٧

[٣] – ابن الهيثم : ثمرة الحكمة ، تحقيق عمار جمعي الطالبي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق المجلد ٧٣ الجزء ٢ ص ٢٩٣

نتائج البحث

وقد توصل البحث إلى العديد من النتائج ومنها :

١- أن التعليم من أهم الوسائل الرئيسية لتربية الإنسان، وله دور عظيم فى تهذيب أخلاقه، وتنظيم حياته، وترتيب أموره عند مفكرى الإسلام فى القرن الرابع الهجرى.

٢- أن التعليم لم يكن هدفاً فى حد ذاته عند أصحاب الاتجاهات الفكرية، بل كان وسيله من وسائل التربية الاخلاقية، وإن اختلف نوع التعليم عند كل إتجاه وآخر، فقد استطاع مفكرى القرن الرابع فى توظيف العلم لتربية وتنشئة الإنسان على الأخلاق، وتربية نفوسهم على العقائد الاسلامية الصحيحة والقيم الاخلاقية القويمة، حيث كان لكل علم من العلوم غايته الأخلاقية التى يهدف اليها.

٣- تأكيد معظم الاتجاهات الفكرية على الاستفادة من جميع العلوم فى تربيتهم الخلقية، سواء كانت علوم دينية أو طبيعية أو نظرية مما يؤكد على أهمية الجمع بين العلوم المختلفة وتوظيفها لخدمة التربية الخلقية.

٤- كان علماء التربية فى القرن الرابع واقفين على ثقافة وعلوم الأخر، الأمر الذى يدل من ناحية تفاعلهم مع الأغيار، وإيمانهم بقوة نموذجهم المعرفى، ويدل من ناحية أخرى على الطابع العملى فى ضرورة الاستفادة من علوم الأخر، وخاصة لدى الأتجاه الفلسفى والاتجاه العلمى.

٥- لقد أدرك مفكرى التربية فى القرن الرابع أهمية دور التعليم فى تربية الإنسان وتقويم أخلاقه، وجعله إنسانا صالحاً لنفسه ولمجتمعه ولوطنه، وهذا ما نحتاج إليه اليوم فى مجتمعاتنا العربية أن نجعل العلم وسيلة لتربيتنا وتهذيب أخلاقنا وليس عبارة عن حشواً بالمعلومات لأذهننا.

المصادر

١. الآجرى: أخلاق العلماء، تحقيق امينة عمر الخراط، دار القلم ط١، دمشق ٢٠٠١.

٢. الآجرى: فرض طلب العلم، تحقيق ابي الحسن علي بن احمد، مكتبة المعارف، ط١، جده ٢٠١٠.

٣. الآجرى:أخلاق حملة القرآن، تحقيق غانم قدوري، دار عمار، ط١، الاردن٢٠٠٨.

٤. ابن مسكوية: تهذيب الأخلاق فى التربية، دار الكتب العلمية ط١، بيروت١٩٨٥.

٥. ابن سينا: السياسة، تقديم وتحقيق محمد على أسبر، مكتبة بدايات ط١، سوريا٢٠٠٧.

٦. إخوان الصفا، مراجعة خير الدين الزركلي، الجزء الاول الرسالة التاسعه، مكتبة هنداوي،٢٠١٧.

٧. ابو نصر الطوسى: اللمع، حققه عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة القاهرة١٩٦٠.

٨. عبد الرحمن السلمى: عيوب النفس ومدواتها، تحقيق محمدعبد المنعم، عبد العزيزشرف دار الشروق١٩٨١.

٩. ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيت الحكمة، تونس،٢٠٠٩.

المراجع

١- الاصفهانى: المفردت فى قريب القرآن، دار المعرفة بيروت (ب ت).

٢- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ج٢، دار الفكر، بيروت، (ب ت).

٣- الجرجانى:التعريفات، تحقيق عبد الرحمن عميره، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٤- خالد بن حامد الحازمي: اصول التربية الاسلامية، دار عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٠.

٥- خليفة حسين العسال: التربية الخلقية في القران الكريم، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد العاشر،١٩٩٢.

٦- ومحمود حمدي زقزوق: مقدمة فى علم الاخلاق، دار القلم الكويت، ط٣، ١٩٨٣.

٧- مقداد يالجن: التربية الاخلاقية الاسلامية، دار عالم الكتب الرياض، ط٣، ١٩٩٦.

٨- صالح بن ابراهيم الصنيع : دراسات فى علم النفس من منظور إسلامى، دار عالم الكتب، الرياض، (ب ت) .

٩- عبد المقصود عبد الغنى خيشة، تهذيب الأخلاق فى الإسلام، القاهرة، دار الثقافة العربية،١٩٩١.

محمد ابى الخطاب القرشى: جمهرة أشعار العرب، تحقيق على محمدالبجادى، مكتبة نهضة مصر١٣٠٨هـ.

المجلات العلمية

١- ابن الهيثم :ثمرة الحكمة، تحقيق عمار جمعي الطالبي، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق المجلد ٧٣ الجزء ٢

٢- امال محمد عامر: البعد الأخلاقى وفلسفة المجاهدة الصوفية، مجلة الجامعة، مجلد٣،العدد١٦، ٢٠١٤.

٣- محمد نايل العزام : التربية الاخلاقية عند الامام الغزالي وعلاقتها بالتصوف، مجلة المنارة مجلد ٢٠، العدد١/ب ،٢٠١٤.

المعاجم

١- محمد مرتضي الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد الاول، الطبعة الاولي، المطبعة الخيرية ١٨٨٥.

٢- ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث، دار المعارف بمصر.

٣- الفيروز ابادي : القاموس المحيط ج١، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧.

٤- جميل صليبا: المعجم الفلسفى ج١، دار الكتاب العالمى، بيروت ١٩٩٤.

٥- ابن دريد: جمهرة اللغة، ج٣، مكتبة المثني بغداد، ط١ (ب ت).